أنّ الفتاة أدنى إلى أن تكون مدخرة للفتى، وأنّ الفتى منذور للفتاة. هذه حقيقة ما نراها كانت مغلّفة في تلكم الآونة بغشاء كثيف من الخفاء، فكأنّي برفيق الغار حين امتدّ أمامه الزمن والبضعة النبوية ما تزال بعد في مرحلة العذرية، قد خالجه الأمل في أن يكون هو صاحب النصيب! ثم كأنّي بصاحبه ابن الخطّاب قد اقتفى أثره عسى أن يظفر بما لم يظفر به غيره من الخُطّاب! والأمل عادةً ملحاح، أو هو مطيّة عنيدة حرون[948]، من يمتطيها يعديه منها عنادها، فيسرف في التشبّث بها لعلّه أن يروّضها وإن هي نبت عنه ونفرت به وشردت كلّ مُشرّد، وإن هو علم كم جمحت قبله بفرسان مقاديم[949]، ونفضتهم واحداً بعد آخر عن ظهرها لقىً على أرض المضمار! أما وقد جاءهما البيان على لسان من لا يمين، فقد فاءا إلى تلك الحقيقة المغلّفة، وأدركا أنّ فاطمة ـ بأمر السماء ـ نصيب مقسوم لمن هو خير منهما، وممّن عداهما من المسلمين. ومن ذا خيرٌ من علي في صفوف الإيمان؟ الآن أشرق النهار، تلألأ النور، تبلّجت[950] الحقيقة سافرة بلا حجاب! فكأنّي بالألسن قد لاكت تلك الأحاديث، وكأنّي بخبرها قد ذاع، وملأ الأسماع، وكأنّي بالرجلين قد بلغهما ـ فيمن بلغ من الناس، وقبل سواهما من الناس ـ ذلك الأمر القدسي الذي ذُكر وروده عن الرسول فوعياه. عندئذ أدركا أنّ الزهراء جلّت وعلت عن كلّ مجالات التنافس بين الأكفّاء، أيقنا أنّ الأمر أمانة واجبة الأداء، وهل من شيء أحقّ بالأداء من كلمة السماء؟ واجتمعا إلى نفر من خاصّة صحاب الرسول، وتحدّثت الآراء، ثم انتهوا إلى قرار. فما أن توثّقت عزيمتهم حتّى انطلقوا إلى الشاب الموعود ... والنسوة هنا وهناك،